مسار حزب الإصلاح الوطني

1936 - 1956

ذ. محمد الفلاح العلوي

مدخل : الحركة الوطنية بالشمال : ملاحظات عامة.

يواجه الباحث في تاريخ الحركة الوطنية في شمـال المغرب بعدة خصوصيات تهم جانبين أساسيين : الأول متـعلق بطبيعـة المادة المصدرية والمرجـعية التـي يمكن الاعتمـاد عليهـا والثاني متعلق بخصوصية وأهمية المعطيات التاريخيـة للمنطقة الخليفية بمقارنتها بتاريخ الحركة الوطنية في المنطقة السلطانية. وإن كانت المنطقتان لا تختلفان عن بعضهما في إطار البحث من حيث غـموض بعـض الجوانب وضـرورة الاعـتمـاد على الروايات الشـفـوية بالإضـافة إلـى ما يوجـد مكتـوبا من وثائق وشـهادات لتـوضـيح الجوانـب المهملة من تـاريخنا الوطني القـريب منا زمنا والبعيد منا إدراكا وتمثلا، ويمكن إبراز بعض ملامح خصوصيات هذين الجانبين فيما يلي :

بخـصـوص الجـانـب الأول يلاحظ على الـعمـوم قـلة الدراسـات الأكـاديميـة عن المنطقـة الخليفية من طرف الباحثين المغاربة(1) بالمقارنة مع الدراسات الأجنبية وخـصـوصا الإسبانية التي ليست في متناول الجميع. وعلى الرغم من ذلك، فإن الباحث حينما يهتم بالموضوع يجد نفسه أمام مـادة مصـدرية مهـمة، وخـاصة، ومـتنوعة بالمقـارنة مع ما يتـوفر عن الحـركة الوطنيـة في الجنوب (المنطقـة السلطانيـة) وهكذا تتنوع المـادة الخاصـة بالشـمـال من وثائق تضم مـحاضـر الاجتـماعـات والخطب وغيـرها إلى مجمـوعة من الصـحف والمجلات التي أصـدرتها الحـركة الوطنية في الشمـال في الفترة ما بين العشـرينات والخمسينات إضـافة إلى بعض المذكرات التي بدأت تظهر في الآونة الأخيرة لبعض معاصري هذه المرحلة، والتي تعد منجما غنيا بالمعلومات والمواد التي تحتاج إلى تحليل ومقارنة ونقد(2). بالإضـافة إلى التراث الذي خلفـه عدد من زعماء الحركـة الوطنية في الشمال ضـمن مكتباتهم التي حـبست من بعدهم والتي تزخـر بالعديد من المخطوطات والوثائق وغيرها التي ترجع إلى هذه المرحلة، أمثال الفقيه محمد داود والعلامة عبد

الله كنون والزعيم عبد الخالق الطريس الذي تأسست بعد وفاته مؤسسة وطنية أطلق عليها اسم مؤسسة عبد الخالق الطريس والتي قال عنها المهدي بنونة «مهمتها العناية بتراثه. وهي تشرف على مكتبته التي أصبحت مكتبة عامة والتزمت أن تقوم في الوقت المناسب بنشر مذكراته ووثائقه التي تعتبر كنزا ثمينا يؤرخ لجوانب مهمة من تاريخ الحركة الوطنية المغربية...» ويستطرد قائلا «وأعتقد أنه آن الأوان لكي تطلع عليها الجماهير المتعطشة لمعرفة أسرار الكفاح السياسي والمسلح في سبيل استقلال المغرب واستعادة سيادته على أراضيه كافة...»(3) إلا أننا نلاحظ أن هذه المؤسسة لازالت غير مفتوحة للباحثين الذين تنحصر استفادتهم منها مما يخرجه القيم عليها من مؤلفات وثائقية وغيرها لا تعد سوى جزء بسيط جدا مما يوجد فيها فعلا على حد قوله(4).

أما بخصوص المعطيات التاريخية الخاصة بالمنطقة الخليفية فإن مقارنتها مع المنطقة السلطانية تعطيها أفضلية وأهمية خاصة يمكن إبراز بعض جوانبها كالتالي :

- اختلاف إطارها العام وسياقها التاريخي عن المنطقة السلطانية باعتبارها منطقة حماية إسبانية ارتبطت بأحداث هذا البلد منذ العشرينات إلى الخمسينات وأثرت عليها هذه الأحداث فجعلت الحركة الوطنية في الشمال تتحرك بصورة أفضل من مثيلتها في الجنوب. بل وتخدم هذه الحركة في المنطقة السلطانية مستغلة طبيعة الحماية الاسبانية بالمنطقة وتوجهاتها الخاصة نحو زعماء وأقطاب الحركة الوطنية في الشمال.

- ارتباط هذه الحركة الوطنية بالمشرق العربي وتطوراته الثقافية والنضالية ضد الاستعمار مما جعلها تستفيد أكثر من مثيلتها في الجنوب من التأثيرات المشرقية بحكم موقعها كبوابة للمغرب الجنوبي نحو الشمال والشرق ومنطقة انفتاح بحكم الحرية النسبية لعمل الحركة الوطنية في المنطقة بسبب تأثير الجانب الأول المذكور سابقا.

- تطور هذه الحركة الوطنية (الشمالية) من حركة ثقافية ذات جذور سلفية إلى حركة إصلاحية في ميادين الفكر والثقافة والمجتمع والاقتصاد ثم إلى حركة سياسية إصلاحية تبنت سياسة تقديم المطالب ومحاولة النضال من أجل تحقيقها.

- طغيان الجانب المؤسساتي على مختلف أنشطة الحركة الإصلاحية وغلبة هموم التربية والتعليم والتوعية على هذه المؤسسات في موازاة مع التنظيمات السياسية ما قبل الحزبية العلنية والسرية التي واكبت المرحلة ما بين 1916 و1936(5).

ويمكن تقسيم تاريخ الحركة الوطنية في الشمال قبل 1936 إلى مرحلتين أساسيتين هما(6) :

1 - من 1916 إلى 1930

2 - من 1930 إلى 1936

تاريخ الحركة الوطنية في شمال المغرب

مراحل الحركة الوطنية

التاريخ	الهيئة	الفروع	تاريخها
30 - 12 - 1916 إلى 4 - 9 - 1930	الحركة الوطنية قبل تأسيس الهيئة	وفد المطالب	
5 - 9 - 1930 إلى 12 - 6 - 1931	الهيئة الوطنية الأولى	اللجنة الفرعية لتحقيق المطالب	25 - 5 - 1931 18 - 6 - 1931
13 - 6 - 1931 31 - 3 - 1932	وفد مطالب الأمة	الهيئة التحضيرية لنظام حزب الإصلاح	19 - 6 - 1931 31 - 3 - 1932
1 - 4 - 1932 19 - 11 - 1933	الهيئة الوطنية في شمال المغرب		15 - 1 - 1933 11 - 2 - 1933
20 - 11 -1933 31 - 1 - 1936	هيئة العمل الوطني في شمال المغرب		
1 - 2 - 1936 17 - 12 - 1936	كتلة العمل الوطني في شمال المغرب	جمعية الطالب المغربية	23 - 3 - 1932 17 - 3 - 1956
18 - 12 - 1936 17 - 3 - 1956	حزب الإصلاح الوطني		

حيث تتميز المرحلة الأولى بالسمات التالية :

- قلة المشتغلين بالعمل الوطني وعلى رأسهم الحاج عبـد السـلام بنونـة[7].

- التـحول من العـمل المسلح إلى العمل السلمـي منذ نهاية حـرب الريف إلى بداية الحكم الفعلي للاسبان في المنطقة بعد 1927.

- محاولة الاستفادة من المشاركة المباشرة في المخزن الخليفي.

- توجـيه الاهتـمام إلى العـمل الإصـلاحي في حقـول التربيـة والتعـليم بإنشاء العـديد من المؤسسات التعليمية والتربوية والعلمية[8].

- تأسيس مجموعة من المؤسسات الاقتصادية الأولى من نوعها في المنطقة[9].

- إعطاء أولوية للتوعية عن طريق الإعلام والصحافة والندوات والاتصال بالخارج[10].

والجدير بالذكر أن الحاج عبد السلام بنونة وثلة قليلة من الرواد الأوائل أمثال محمد داود والتهامي الوزاني وغيرهم من أعيان مدينة تطوان كانوا من وراء هذه المشاريع والإصلاحات.

أما المرحلة الثانية ما بين 1930 و1936 فقد تميزت بالإضافة إلى تزايد وتطور المعطيات السالفة الذكر بما يلي :

- ظهور التنظيمات السياسية ما قبل الحزبية السرية والعلنية التي تتشكل من المهتمين بالعمل الوطني في إطار منظم ومؤطر يحاول المطالبة بالإصلاحات وتقديم عرائض المطالب إلى الجهات المعنية من إدارة الحماية الاسبانية أو المخزن الخليفي أو السلطات الإسبانية المركزية - في مدريد، وقد تفرعت عن هذه التنظيمات لجان ووفود وجمعيات عملت في نفس الاتجاه منها جمعية الطالب المغربية ووفد المطالب واللجنة الفرعية لتحقيق المطالب والهيئة التحضيرية لنظام حزب الإصلاح[11].

- غلبة طابع الحوار السلمي والنضال المعادي للعنف على أساليب مواجهة الاستعمار الدخيل في المنطقة.

- تزامن هذه المرحلة مع تطورات سياسية مهمة في البلاد الاسبانية الدولة الحامية مما أثر على علاقة الحركة الوطنية بسلطات الحماية الإسبانية سلبا وإيجابا وطرح عدة تساؤلات حول علاقة النخبة السياسية المغربية في الشمال بهذه التطورات وبجهات وأحزاب وشخصيات اسبانية أمدت بعض الأقطاب المغاربة بمساعدات مالية[12].

ومما يزيد من أهمية تلك التساؤلات تزامن قيام أول حزب سياسي في شمال المغرب بإعلان فرانكو تمرده ضد حكومة الجبهة الشعبية حيث تم تأسيس حزب الإصلاح بناء على اتفاق مسبق بين السلطات العسكرية المتمردة وبعض قادة الحزب مما يمكن مناقشته فيما بعد عند حديثنا عن ظروف التأسيس[13].

نخلص في هذه المقدمة إلى أن ظهور حزب الإصلاح الوطني في شمال المغرب كأول حزب سياسي في المغرب في 11 نونبر 1936 مرتبط ببنية حركة وطنية متجذرة زمنيا منذ بداية القرن ومرتبطة بالعديد من الإنجازات على الصعيد الإصلاحي السلفي - السلمي ومستفيدة من ظروف الدولة الحامية السياسية وتوجهاتها الاستعمارية. كيف إذن تأسس هذا الحزب في ظل هذه المعطيات وما هي الظروف والملابسات التي واكبت تأسيسه؟ وما هي توجهاته النظرية والايديولوجية ومساره التنظيمي على صعيد الواقع وكيف استفاد من علاقاته المختلفة كحزب سياسي بالداخل والخارج. ولماذا تم توقيف هذا المسار سنة 1956 بإدماجه في حزب الاستقلال. هذه هي الأسئلة التي سيحاول هذا البحث إثارتها ومناقشتها، في إطار التطرق إلى المواضيع التالية :

1 ـ التأسيس ـ 2 ـ الإيديولوجيا ـ 3 ـ الممارسة ـ 4 ـ العلاقات ـ 5 ـ الإدماج.

أولا ـ التأسيس بين النظرية والتطبيق.

قبل أن نعرض للمراحل التي قطعها مؤسسو حزب الإصلاح في سبيل إخراج حزبهم إلى النور لابأس من الإشارة إلى أن مرحلة الثلاثينات من القرن العشرين اعتبرت حبلى بالمحاولات الأولى لإنشاء الأحزاب على مستوى الشمال الافريقي الغربي فقد تأسس في 11 مارس 1937 حزب الشعب الجزائري بزعامة مصالي الحاج، كما شهدت نفس السنة تأسيس حزب الدستور الجديد في تونس مطورا الصيغة القديمة لحزب الدستور الذي يعود لسنة 1904 [14] وفي 26 فبراير 1937، حظرت فرنسا الكتلة الوطنية بالجنوب فأنشئ الحزب الوطني بزعامة علال الفاسي وذلك بعد أن كان حزب الإصلاح في الشمال قد أعلن عنه في 11 نوفمبر 1936 وقد تزامنت مع هذه الأحزاب كل من الحركة القومية بزعامة محمد بلحسن الوزاني في المنطقة السلطانية وحزب الوحدة بزعامة المكي الناصري في المنطقة الخليفية فكيف رأى النور حزب الإصلاح الوطني وهو يتصدر ويسبق التشكيلات السالفة الذكر في الإنشاء؟

أعلن عن تأسيس حزب الإصلاح الوطني يوم 3 شوال 18/1355 دجنبر 1936 وهو اليوم الذي يوافق الذكرى الثانية لوفاة أب الحركة الوطنية في الشمال الحاج عبد السلام بنونة (سنة 1353/يناير 1935) ولئن كان هذا التاريخ يتزامن مع التغيرات السياسية في اسبانيا بتزعم فرانكو لانقلاب عسكري ضد النظام الجمهوري مما سنعرض له فيما بعد (عند الحديث عن علاقات الحزب مع اسبانيا) فإن فكرة الإنشاء والتأسيس تعد سابقة على ذلك التاريخ وتضرب بعمق في مخططات الحركة الوطنية قبل 1936 وهناك عدة مؤشرات على ذلك منها التصريح بالتفكير في الأمر من طرف الطريس منذ سنة 1930 في رسالة له إلى الطيب بنونة مؤرخة في 7 مارس 1930 فيقول :

«متى سيعلم الناس قيمة التعليم والثقافة فيمدون يد المساعدة ويقبلون على إدخال أولادهم لما ينشأ من المدارس الوطنية الحرة... وتأسيس جمعية وطنية تكون نواة لحزب سياسي يضم جميع العناصر الحية في وطننا...»[15].

مع منتصف سنة 1930 بدأت الخطوات التمهيدية لإنشاء حزب الإصلاح بصورة سرية خصوصا بعد زيارة الأمير شكيب أرسلان لتطوان في غشت من نفس السنة فتشكلت أول هيئة وطنية سرية في هذا الصدد وتوالت الفكرة ضمن مخططات الحركة الوطنية في كل تنظيماتها الأولى في الثلاثينات إلى أن تألفت في 16 يناير 1933 هيئة وطنية خاصة دعيت «الهيئة التحضيرية لنظام حزب الإصلاح الوطني التي ترأسها الفقيه محمد الصفار[16] وعند تأسيس كتلة العمل الوطني بشمال المغرب في فاتح فبراير 1936 وبعد أشهر من ذلك أي في يوم 4 يونيو من نفس السنة وافقت الكتلة على نظامها الأساسي الذي نص على أنه من غاياتها «السعي لإعلان حزب سياسي وطني لخدمة غاياتها»[17].

لقد شكلت الهيئة التحضيرية لنظام حزب الإصلاح الوطني من 11 عضوا في بداية أمرها من ضمنهم المكي الناصري[18] وعقدت 11 جلسة من 18 رمضان 1351هـ/15 يناير 1933 إلى 15 شوال 1351/موافق 11 فبراير 1933. وقد ناقشت اللجنة في هذه الاجتماعات مشروع برنامج الحزب المقرر إنشاؤه حيث درست الجلسة الأولى تشكيلة الهيئة وصادقت عليها واهتمت الجلسة الثانية بغايات الحزب والجلسة الثالثة ببرنامجه بخصوص الفلاحة والتجارة والأوقاف والجلسة الرابعة ببعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والوظيفية. والجلسة الخامسة بالقضايا الثقافية والجلسة السادسة بقضايا إدارية ومالية والجلسة السابعة بالاحتكارات وواقع اللغة العربية وأقرت مبادئ الحزب والجلسة الثامنة بمالية الحزب وشروط العضوية فيه وهو نفس موضوع الجلستين التاسعة والعاشرة ثم تم الاتفاق على الغايات الأساسية للحزب في الجلسة الأخيرة (الحادية عشر)[19] وهي 8 غايات تضمنت مجموع أماني الحركة الوطنية في الشمال من النواحي السياسية والإصلاحية بشكل عام منها :

تأسيس مجلس تشريعي وتعميم المجالس البلدية بالمنطقة وتعميم التعليم وكفالة الحريات العامة في الرأي والتعبير وتنظيم القضاء واستقلاله مع إعادة النظر في القوانين المدنية والشخصية والجنائية والتجارية لتكون مأخوذة من الفقه الإسلامي. ثم تأسيس صحافة حزبية لتحقيق أغراض الحزب[20] وقد شكلت معظم هذه الغايات موضوع تشريعات خليفية سمحت بها اسبانيا أثناء مدة حمايتها في المنطقة الشمالية، ساهم الحزب في الدفع إليها والنضال من أجلها[21].

بعد أن أصبحت الظروف مواتية من ناحية العلاقة مع الدولة الحامية الاسبانية وبسبب تطورات ساحتها السياسية أذنت السلطات الاسبانية لعبد الخالق الطريس بطلب الإذن في تأسيس حزبه وطلبت منه تقديم طلبه رسميا إلى كل من الخليفة السلطاني والإقامة العامة حيث أجاب المقيم العام الاسباني بيكبدير عنه بالإيجاب بتاريخ 7 دجنبر 1936 «فتأسست اللجنة التنفيذية المؤقتة للحزب من السادة : التهامي الوزاني (وكيل ومفتش) وعبد السلام التمسماني (مساعد إداري) والأعضاء السادة عبد الخالق الطريس وأحمد غيلان ومحمد بناني ومحمد الطنجي ومحمد الصفار»[22].

وقد نص النظام الأساسي للحزب الذي أعلن عنه بجريدة الريف يوم 3 شوال 1355 موافق 18 دجنبر 1936 على تسمية الحزب حزب الاصلاح الوطني، مركزه مدينة تطوان وغاياته : تحقيق الحرية وكامل الاستقلال لأراضي المغرب وتحقيق الوحدة المغربية سياسيا ولغويا والدفاع عن الحقوق الضائعة لإيصال الأمة إلى مركز حضاري سام وذلك عن طريق التعاون مع الحكومة في سائر الإصلاحات والأعمال التي تتفق مع غايات الحزب واستغلال ثروة البلاد الطبيعية وتحرير الفكر المغربي من الرجعية في حدود الديانة الإسلامية والعمل على رفع المستوى

الأخلاقي للشعب. وخلق المواطن المغربي الذي يـشعر بحقوقه ويعرف واجباتـه ومحاربة الأمية ونشـر التعـليم وذلك وفق خطة سلمـية تتـوخى : نشـر الدعـاية بكل الوسائـل وجمع الأنصـار وتنظيـمـهـم وإصـدار برامج لتـبيـان وجـهـة نظر الحـزب في المسـتـجـدات وتنظيم المؤتمـرات والاجتماعات العامة[23].

أما بخصوص أجهزة الحزب فيمكن استخلاصها على الشكل التالي :

مجلس أعلى

اللجنة المركزية :
رئيس
وكيل
أمين عام
ناظر
أمين الصندوق
حاسب
أعضاء

اللجان الفرعية :
رئيس
أمين عام
أمين الصندوق
حاسب
أعضاء المدن

اللجان الفنية :
المالية
الخارجية
الداخلية
الاقتصاد
الثقافية
الدعاية والنشر
القانونية
التنظيمات الحزبية الاجتماعية

شعـب

حلقات

(الاتصال بالجماهير)

وعلى الرغم من أن الحـزب استطاع أن يمتـد بتنظيـمـه ليـغطي مـعظم المنطقـة الخليـفـيـة وخصوصا المراكـز الحضرية : تطوان ـ القصر الكبيـر ـ العرائش ـ أصيلا ـ شفشاون ـ الحسيمة ـ الناظور فإنه وجـد صعوبة في التسـرب إلى طنجة ولم يتوفـر على أي مكتب بسبتـة ومليلية[24] وهذه الملاحظة الأخيرة تدفعنا إلى التساؤل عن طبيعـة العضوية في الحزب ومجمل مواصفات الأعضاء فماذا نلاحظ؟ :

ـ القيادة الشبه عـائلية حيث يعتبر الطيب بنونة صهرا للـطريس وتعدد الاخوة الأعضاء في الحزب (بنونة ـ الخطيب الخ...)[25]

ـ القيادة كذلك من الأعيان الارستقراطيين في المنطقة الذين جمعوا بين المال والسياسة مما يفسر الكثير من علاقاتهم الاقتصادية[26]

ـ أغلب الأعضاء القـياديين كانت لهم علاقـات مع ممثلي القنصليات الأجنبية وخـصوصا ألمانيا وبريطانيا. بل إن منهم من كانوا محميين[27]

ـ انحصـار الدعاية للانخراط في الحزب في الوسط الحـضري المديني وقلتهـا في البادية بل

إنها كانت تتوجه في البادية فقط لعقد تحالفات تكتيكية مع رؤساء القبائل وعلى الرغم من أن ريزيت يرى أن عدم استقطاب الحزب لجماهير من عامة الناس كان بدافع الخوف من التأثير على قراراته[28] فإن ذلك مرتبط عموما بمستوى التعليم والوعي العام الذي ينحصر في فئة الأعيان والأطر التي تشكل أغلبية المنخرطين في الحزب وهذا ما يفسر تواضع المحاولات الحزبية لاستقطاب أعضاء جماهيريين عاديين. وكون التنظيمات التابعة للحزب كانت حكرا على مناضلي الحزب وليست لصالح الجماهير العاطفة عليه، وقد يفسر كذلك تحول هذه التنظيمات ما بين 1937 و1942 إلى مليشيات حقيقية أطلق عليها اسم «الفتيان» [29] إلا أن التنظيمات التربوية تعد مفتوحة أمام الجميع كما هو الشأن بالنسبة لحلقات المحاضرات التي ظهرت في الحزب بعد إعادة تنظيمه سنة 1945 والتي كانت لها لجنة مسيرة قيادية يترأسها الطريس نفسه[30].

لقد تعددت الأنظمة الداخلية للحزب فشملت عدة جوانب تخص الجهاز الاداري والنظام المالي ونظام الانتخابات ونظام العضوية بالإضافة إلى مجموعة من الطقوس الخاصة مثل : التحية برفع اليد المبسوطة مع قول الله أكبر والشعار المتمثل في الطربوش الأبيض والأسود والرمز المثلث وبه عبارة الله أكبر والعلم الأسود والأبيض وبه عبارة الله أكبر والنشيد الخاص «فتيان قومي»[31].

لاشك أن هذه المعالم التنظيمية التي تبناها حزب الإصلاح الوطني كانت نابعة من مؤثرات خارجية تشبع بها مؤسسوه في علاقاتهم المختلفة فتمازجت تلك المؤثرات وأعطت المواصفات السالفة الذكر ويمكن أن نخص من هذه المؤثرات :

- تأثير بعض الأحزاب المشرقية مثل حركة مصر الفتاة وحزب الوفد الذي أنشأ شباب القمصان الزرق والمليشيات الشعبية للقمصان الزرق وحزب الكتائب في لبنان.
- كما لا يستبعد التأثير الأوربي الذي يعود لظاهرة مليشيات الأحزاب النازية والفاشية والفلانخي الاسبانية[32].

وهكذا فقد تأسست منظمة الفتيان التابعة لحزب الاصلاح الوطني في 4 يناير 1937 بالمواصفات المذكورة سابقا من ألوان وزي موحد وسلام خاص وشعار يرمز إلى أن الخير بالخير والشر بالشر وعلى الرغم من هذا التشابه في المظاهر بين منظمة الفتيان التابعة لحزب الإصلاح[33] ومثيلاتها في الشرق وأوربا فإن المهدي بنونة أحد أعضاء الحزب يعتبر أن هذا تقليد وإعجاب في المظهر ولا علاقة له بالجوهر![34].

يستفاد مما سبق أن تأسيس وتنظيم حزب الإصلاح الوطني بالمنطقة الشمالية جاء كخلاصة للمسار الإصلاحي الذي سارت فيه الحركة الوطنية في الشمال قبل ذلك واعتبر تطورا موضوعيا لهذه الحركة في علاقتها مع الحماية ومع نفسها ووفق المؤثرات العامة التي

أثرت في هذه الحركة وفي أفق تنظيم النخبة المتنورة والارستقراطية الحضرية بالمنطقة[35] وقد عبر الطريس نفسه عن ذلك بقوله :

«اعتزمنا تأسيس حزب إصلاحي سياسي يسأل أمام الشعب والحكومة ويوحد الرأي العام في البلاد، ويوجه الأمة توجيها صحيحا قويما في سبيل الإصلاح لكي تتحقق مثلها العليا وتسترجع عزتها القومية ويعض ما كان لها من أمجاد تاريخية عظيمة وتنال حريتها واستقلالها»[36].

لاشك أن التمعن في هذا القول سيفضي بنا إلى محاولة وصف وتحليل الجانب الاديولوجي الذي انبنى عليه توجه حزب الإصلاح بصورة عامة والتطور الذي حصل في هذا الصدد ومناقشة المؤثرات التي يمكن أن تكون وراء تبني هذه الاديولوجية :

ثانيا - الحزب بين الاديولوجيا والممارسة.

I - إديولوجية الحزب.

قبل الحديث عن إديولوجية حزب الإصلاح الوطني لابد من التأكيد على ملاحظة منهجية القصد منها توضيح المقصود بهذا الجانب بسبب أن مصطلح إديولوجيا متعدد المعاني والاستعمالات في حقل الفلسفة الذي تسرب منه إلى حقل السياسة. فهو إذا كان يقصد به عموما «التأمل المثالي أو المجرد وتكوين النظريات رؤيويا.. طريقة في التفكير أو نسق من المواقف...»[37] فإن ما نقصده بالخصوص هو المعنى الأخير الذي أورده عبد الله العروي حينما قال : «... إنه يستخدم بمثابة نموذج وذلك بالضبط لكي يحققه العمل»[38].

فما هي إذن مبادئ النموذج الذي حاول حزب الإصلاح تحقيقه عن طريق العمل والممارسة وما هي المبادئ والأسس التي اعتمدتها هذه الاديولوجيا النموذج في نظر الحزب؟

لقد وافقت اللجنة التحضيرية للحزب في اجتماع جلستها السابعة على المبادئ التالية :

1 - تأييد مركز سمو الخليفة المعظم والدفاع عن كيانه

2 - الحزب ملكي دستوري

3 - الحزب سلمي يدافع بالطرق المشروعة

4 - الحزب إسلامي.

تلخص هذه المبادئ بعض[39] عناصر اديولوجية الحزب وهي :

1 - التشبث بمبدأ الوحدة وبمن يمثل هذه الوحدة.

وتعبر عنه المباديء (1 - 2 - 4) فعند الاعتراف بأن الحزب ملكي دستوري إحالة على وجوب الطاعة لملك البلاد في إطار نظام دستوري وتتوضح الفكرة أكثر بوجوب تأييد مركز سمو الخليفة والدفاع عن كيانه وفي ذلك دفاع عن كيان المملكة ككل واعتراف بالسلطان كممثل وحيد للأمة الموحدة. وتعزز هذه المبادئ الكثير من أقوال زعيم الحزب ومواقفه حتى قبل إنشاء الحزب كقوله :

«نترك القراء على هذا العهد : الطاعة لله والولاء للسلطان والإخلاص للمغرب والتضحية في سبيله بكل مرتخص وغال»(40).

ومنذ 1934 نادى الطريس بالوحدة قائلا : «... إن المغرب بمناطقه كلها سواء المنطقة الخاضعة للحماية الفرنسية أو المنطقة الاسبانية أو المنطقة الدولية، هذه المناطق جزء من المغرب وهو جزء من المغرب الأقصى ونحن لا نفرط في وحدتنا»(41).

وقد تطورت هذه الفكرة لتقرن بين الوحدة والاستقلال وخصوصا في الخمسينات فقد كتب الطريس في العدد الأول من صحيفة الأمة سنة 1952 يقول متحدثا عن توجه الصحيفة : «إنها ستحمل رسالة الدفاع عن استقلال المغرب ووحدته الترابية، والدفاع عن النظام الملكي والجالس على عرش البلاد...»(42).

إن فكرة إسلامية الحزب تحيلنا كذلك على عنصر من عناصر الوحدة التي تجمع المغاربة ويجعلها الحزب أحد مبادئه الأساس بل ويمكن أن نستخلص منها العنصر الثاني من عناصر اديولوجية الحزب وهو :

2 ـ التشبث بالأصل الديني للوطنية المغربية.

ولاشك أن هذا العنصر يرتبط بدور الدين في التعبئة الوطنية كما عاشه الجنوب والشمال على حد سواء فيما عرف بالفكر السلفي :

«الوطنية والدين شيئان لا محيد لأحدهما عن الآخر، فالوطنية للدين تخدم والدين للوطنية السامية يؤهل...»(43).

3 ـ الانطلاق في العمل الحزبي من توابت الفكر الإصلاحي.

إن المبدأ الثالث المعبر عن نضال الحزب بالطرق السلمية له دلالات خاصة ومهمة من أبرزها المرجعية الإصلاحية المتعايشة مع الأجنبي كتكتيك للحركة الوطنية حينما فشلت طرق الجهاد المسلح وقد أكد الحزب على ذلك في المادة الخامسة من قانونه الأساسي بتأكيده على النضال المعادي للعنف مما يعني المحافظة على علاقات متزنة مع الحماية الاسبانية واعتماد سياسة المطالب وهي مسألة مرتبطة بخط الحركة الوطنية قبل تأسيس الحزب والتي دشنت بسلسلة من المطالب مع بداية الثلاثينات سواءفي المنطقة الخليفية أو المنطقة السلطانية.

هل تأثرت هذه الجوانب الاديولوجية للحزب بمؤثرات داخلية أو خارجية؟ ما هي حدود التحليل والتأويل التي تسمح بتبني هذا الرأي أو ذاك؟ لاشك أن العناصر المذكورة سابقا لم تأت من عدم بل ناتجة عن مخاض فكر ومسار الرواد الأوائل للحزب وعلى رأسهم الزعيم عبد الخالق الطريس إلا أن الرصانة العلمية تتطلب طرح مجموعة من الملاحظات والتساؤلات دون التسرع إلى الجزم بأحكام مسبقة كما جاء في دراسات سابقة(44) في غياب الأدلة والبراهين التي تتبث هذا الحكم أو ذاك.

وأهم ما يمكن استخلاصه واستنتاجه في هذا الصدد يتلخص فيما يلي :

لقد تأثرت إديولوجية الحزب بـ : 1 - الصفة الفردية والارتباط بالزعيم - 2 - اندماج الأمة في الحزب الوحيد - 3 - الصبغة الدينية - 4 - الصبغة الاصلاحية المطلبية.

لاشك أن شخصية زعيم الحزب عبد الخالق الطريس[45] قد أثرت في اتجاه الحزب هذه الوجهة بحكم أن الطريس أحد أهم المؤسسين الأوائل وصاحب فكرة الانتظام في حزب وقد حافظ الطريس على هذه الزعامة طيلة حياة الحزب متزعما اتخاذ القرارات والمواقف ومسيرا لتطورات الحزب بل إن صراعه مع بقية التشكيلات الحزبية جعله يرفض فكرة الاختلاف ويدعو إلى ضرورة الالتفاف حول زعيم واحد موجه وحزب واحد للحركة الوطنية في المنطقة «لا يعقل أن يوجد في هذه الأمة حزبان، ولا يسمح ضمير الأمة بوجود حزب آخر يقضي بتشتيت هذه الأمة وليس هناك غير حزب الأمة والله والوطن ولا يمكن أن يوجد غيره»[46]. لاشك أن الطريس في هذا كان متأثرا بطبيعة المرحلة عموما التي سادت فيها فكرة الحزب الوحيد سواء في المشرق العربي أو بعض دول أوربا.

وتعود الصبغة الدينية التي اصطبغ بها التوجه الحزبي إلى تأثير الفكر السلفي الذي يمجد السلف ويحاول إعادة أمجاد الأمة الإسلامية بالاعتماد عليها في التأكيد على أصالة الوطن وتجذره في التاريخ كما ترتبط بتطورات فكرة القومية لدى الطريس وإيمانه باعتبارها محركا للنضال ضد المستعمر «الأماني القومية ليست سوى أنفاس طبيعية ترسمها طبيعة الأمة، عن إحساس بضرورة مسايرة التطور ومن الأنفاس الحارة الملتهبة تلك التي لا ترجع إلى صدور مرسليها...»[47].

أما الصبغة الإصلاحية فقد سبقت الإشارة أن الحركة الوطنية عموما في الثلاثينات اختارت مبدأ التفاوض مع السلطات الاستعمارية للقيام بالإصلاحات الممكنة والمنسجمة مع ميثاق الحماية قبل أن تتطور في الأربعينات للمطالبة بالاستقلال حينما أثبتت عن طريق النضال الإصلاحي عدم التزام السلطات الاستعمارية بمبادئ ميثاق الحماية.

لاشك كذلك أنه إلى جانب هذه المؤثرات الذاتية الداخلية هناك مؤثرات خارجية كطبيعة ونوعية الحكم عند بعض الدول الأوربية التي احتك بها زعماء الحركة الوطنية في الشمال وخصوصا اسبانيا التي لم تؤثر حوادثها وطبيعة حكمها فقط في توجهات الحركة بالشمال بل وأثرت حتى على التطورات الظرفية لسياسة الحزب من الثلاثينات إلى الخمسينات. إلا أن هذه المؤثرات الخارجية والأوربية بالخصوص من أنظمة حكم وتوجهات أحزاب وحكومات ما كان لها أن تؤثر لوحدها في توجهات الحزب الذي ظل مرتبطا بالمؤثرات الداخلية الوطنية والقومية المشرقية ومزج بينها وبين المعطيات الأوربية لتشكيل اديولوجيته.

فكيف تم تكييف هذه الاديولوجية مع تطورات الواقع وهل أخلص الحزب من حيث الممارسة لاديولوجيته أم بقيت بعيدة عن التمثل على صعيد الممارسة؟

II ـ الممارسة.

مارس حزب الإصلاح الوطني مهامه النضالية في ظروف صعبة ودقيقة، فقد تأسس في ظروف الحرب الأهلية الاسبانية وأثرت على عمله ظروف الحرب العالمية الثانية وعاصر منعطف القضية المغربية عند خلع السلطان سيدي محمد بن يوسف عن العرش وما ترتب عنه من ثورة عارمة للملك والشعب وقيام حركة المقاومة المسلحة وإنشاء جيش التحرير فكيف واجه كل ذلك في إطار إديولوجيته المتسمة بالنضال السلمي؟

1 ـ الوسائل.

قبل استعراض المسار الذي سار فيه الحزب من 1936 إلى 1956 بالتركيز على بعض النماذج والمحطات لابأس من إلقاء نظرة توضيحية على الوسائل التي اعتمدها الحزب في ممارسته السياسية.

أ ـ المنظمات الموازية.

إلى جانب اللجنة التنفيذية واللجان الفرعية والفنية المنبثقة عن الحزب والتي تؤطر الجماهير المناضلة وتعتبر حلقة وصل بينها وبين قيادة الحزب مارس الحزب نشاطه من خلال منظمات موازية مثل منظمة الفتيان (الكتائب) ذات النظام الشبه عسكري إلى جانب مجموعة من الجمعيات التابعة له مثل جمعية الطالب المغربية والجمعية الرياضية والاتحاد النسائي[48].

وإذا كانت معلوماتنا محدودة حول أنشطة هذه الجمعيات فالمؤكد أنها كانت الرافد الذي يمد الحزب بعدد من المناضلين الشباب بالإضافة إلى الدور التأطيري الذي لعبته بالنسبة للمنخرطين فيها في اتجاهات تخصصها وقد لازمت اللجان الفرعية والفنية بجميع أعضائها إلى جانب اللجنة المركزية عقد مؤتمر سنوي بمدينة تطوان في الثالث من شوال من كل سنة الذي عد عيدا للجهاد الوطني ابتداء من سنة 1952 [49] بعد سماح السلطات الإسبانية للحزب باستئناف نشاطه العلني بعد الأزمة التي تعرض لها إبان الحرب العالمية الثانية وقد كان المؤتمر مناسبة لمناقشة المستجدات وتلقي التوجيهات من زعيم الحزب عبد الخالق الطريس.

ب ـ الصحافة.

لعبت صحافة الحزب دورا بارزا كوسيلة إعلامية في إطار سياسة الحزب المناهضة للعنف والمعتمدة على الممارسة السلمية وتقديم المطالب، فمنذ تأسيس الحزب كانت جريدة الحرية التي تأسست بتطوان في 14 مارس 1937 ناطقا رسميا باسمه تدافع عنه أمام الاتهامات التي كانت تطال زعامته واتجاهه واتهامه بالتواطؤ مع الفاشية والنازية، كما كانت منبرا لمطالبه

المختلفة الموجهة إلى السلطات الاسبانية ووسيلة تواصل بينه وبين مناضليه وقد حلت محلها فيما بعد سنة 1952 جريدة الأمة التي استمرت إلى أن أدمج الحزب مع حزب الاستقلال، كما كانت جريدة الريف التي أسسها التهامي الوزاني بتاريخ 11 شتنبر 1936 ناطقا غير رسمي وغير مباشر باسم الحزب[50]. باعتباره مرشد الحركة الوطنية بالشمال[51]. وحسب معاصرين للمرحلة فقد كانت جريدة الحرية تصدر حوالي 2000 نسخة بينما لا تتجاوز الريف 1000 إلى 1200 [52] نسخة وقد عانت هذه الصحف من مضايقات الاستعماريين الاسباني والفرنسي على حد سواء وإن اختلفت مظاهر المضايقة من الرقابة المسبقة والمنع من دخول المنطقة السلطانية من طرف السلطات الفرنسية رغم اعتماد التوزيع عبر البريد الانجليزي[53] إلى المضايقة الغير مباشرة عن طريق الغرامات والعقوبات بعد المصادرة من محلات البيع وفرض غرامات على المحررين وعلى كل من يكتب مقالا لا يروق للسلطات[54].

2 - العلاقات.

أ - مع السلطات الاستعمارية.

إن تتبع علاقات حزب الإصلاح الوطني مع السلطات الاستعمارية في المغرب سواء في الشمال أو في الجنوب من شأنه أن يفصح لنا عن جوانب النضال والممارسة الفعلية التي خاضها حزب الإصلاح منذ تأسيسه إلى إدماجه ويكشف لنا عن الاستراتيجية الحزبية بخصوص كل من الاستعمارين الاسباني والفرنسي :

✱ - *مع السلطات الاسبانية:*

قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن حزب الإصلاح الوطني يحكم موقعه في المنطقة الخليفية ستكون مواجهته الأولى مع السلطات الاسبانية باعتبارها السلطة الحامية في هذه المنطقة إلا أن تتبع الأحداث وتطور العلاقات بين هذه السلطة والحزب يبين لنا اتجاها آخر تحكمت فيه استراتيجية حزبية اعتمدت المهادنة والعمل السياسي المطالب بالإصلاحات في حدود ما تسمح به هذه السلطات، الأمر الذي دفع ببعض الباحثين إلى اعتبار الحزب أداة طيعة في يد الاسبان وحزبا مواليا لهم في المنطقة[55] خصوصا حينما تربط بين ظروف تأسيسه وبين قيام الحركة العسكرية التي أطاحت بالجمهورية في اسبانيا والتي اتخذت من شمال المغرب منطلقا لها من مدينة مليلية ومن سبتة وتطوان حيث وصل الجنرال فرانكو إلى تطوان يوم 19 يوليوز 1936 وعلق وساما للصدر الأعظم أحمد الغنيمة جزاء تعاطفه مع هذه الحركة حيث صرح أن تطوان أصبحت مهدا للحركة الوطنية الاسبانية[56] وما تلى ذلك من اتصالات بين الطريس والكولونيل بيكبيدير من 10 - 8 - 1936 إلى 18 - 12 - 1936 حينما سمحت السلطة الاسبانية بتأسيس الحزب[57]. بعد أن ماطلت في ذلك من قبل مؤكدة أنه لا مانع من تأسيس جمعية ولكن ليس حزبا[58].

يمكن اعتبار مرحلة الحرب الأهلية الاسبانية (18 يوليوز 1936 ـ غشت 1939) مرحلة تعايش ومناصرة لحركة فرانكو ونوع من المغازلة من طرف الاسبان لحزب الاصلاح حيث أن قادته لم يكونوا أحيانا بحاجة لطلب إذن السلطات لعقد أي تجمع[59] إلى حد أن البعض وجه لهذا التنظيم انتقادات واعتبره تنظيما أجنبيا وأن لقادته ميل للفكر الفاشستي الشيء الذي جعل جريدة الحرية ترد على هذه الاتهامات في مقالات عديدة[60]. لقد كانت سياسة الحزب تجاه الاسبان في هذه المرحلة امتدادا لسياسة الحركة الوطنية قبل 1936 سياسة تعتمد الحوار وتقديم المطالب وقد عبر المقيم العام «بكيبدر» عن ارتياحه لذلك حينما قدمت له اللجنة التنفيذية للحزب نسخة من المطالب فقال :

«إنني مغتبط بهذه المطالب... فحزب استقلالي كحزبكم يلزم ألا يفكر أولا في الاستقلال بل يفكر في مؤهلات الاستقلال وبإدخال الإصلاحات اللازمة»[61] وقد كانت سياسة اسبانيا تجاه تلك المطالب تتسم بالمماطلة والتسويف وتأخير قبولها فقد صرح فرانكو قائلا للطريس :

«إن الوعود التي وعدتكم بها ليست وعودا جوفاء.. وعما قريب تصبح حقائق واسبانيا مصممة على مساعدة المغرب ماديا ومعنويا»[62].

ولكنه في نفس الوقت كان يقبل البعض الآخر ويشرع في تنفيذه ومن ذلك :

«اليوم يقدم الزعيم فرانكو لكم وفاءه بالوعود : عشرة ملايين بسيطة للأشغال العامة، العفو العام، توسيع التعليم...».

لقد كان التعاون متبادلا بين الطرفين في هذه المرحلة فالطريس يناشد الاسبان من خلال جريدة الحرية بقوله «إذا أردتم أيها الاسبانيون المحافظة على صداقة المغاربة.. ساعدونا كما ساعدناكم»[63].

ولاشك أن هذا السياق العام هو الذي تم في إطاره تعيين الطريس في 17 مارس 1937 على رأس وزارة الأحباس في المخزن الخليفي وتعيين محمد أنقار قنصلا لها بمدينة جدة[64].

إن ما يفسر كل الوقائع السالفة هو التزام حزب الإصلاح بمبدأ رفض العنف تجاه السلطات الاسبانية وتبني سياسة المطالب التي تبنتها الحركة الوطنية في الشمال منذ 1916 وبالتالي اتخاذ موقف تاكتيكي من الأحداث الداخلية الاسبانية بتشجيع اليمين الاسباني في شخص حركة فرانكو ضد الجمهوريين اليساريين الأمر الذي عززته الأحداث بانتصار فرانكو في الحرب الأهلية ومحاولته رد الجميل للإصلاحيين المغاربة، إلا أن هذا لا ينفي أن التساؤلات التي جاءت في بعض الدراسات حول الميول الفاشية لزعماء حزب الإصلاح تستحق الاهتمام ولكنها في نفس الوقت تحتاج إلى التوقف عندها موقف المتشكك المحتاط خصوصا في غياب الأدلة القاطعة التي تعطي أجوبة مقنعة حولها[65].

إلا أن هذا الانسجام التام بين حزب الاصلاح والسلطات الاسـبانية لم يستمر بنفس القوة بل حـصل فيـه الكثيـر من التراجع خـلال سنوات الحرب الثـانية وخـصوصـا بعد الحـرب وفي مرحلة الخـمسـينات فقـد طلب فرانكو من المغـاربة قبـول سياسـة الانفراج النسـبي كمـا يقول المهدي بنونة خـلال سنوات الحرب على أساس أن كل المطالب سـتلبى بعد استقـرار الأوضـاع في اسبانيا، إلا أن التطورات الموالية أثبتت زيف ذلك «فقد كـانت فترة علاقات الحركة الوطنية بالجنرال فرانكو مـنذ نهاية الحرب الأهليـة الاسبانيـة وحتى حصـول المغرب على استـقلاله من أسوأ السنوات التي عرفها تاريخ الحركة الوطنية[66].

إن ما يعـزز هذا القول التـشدد الاسـباني تجاه الحـركة الوطنيـة ككل وعلى رأسهـا حزب الإصلاح خـصوصـا بعد إعـلان الميثـاق الوطني المطالب بالاسـتقلال في دجنبر 1942 والذي أدت التطورات السـيــاسـيـة بعـده إلى توقف جـريدة الحـريـة عن الصـدور منذ 1942 وحظـر للأحزاب الـوطنية في المنطقـة الخليفـية في فـبراير 1948 بعد قـطع المعونة الاسـبانيـة عنها فـقد تفكك حـزب الإصـلاح خـصـوصـا بعـد سنة 1945 بسـبب تأثيـرات المرحـلة على السـاحـة العـسكرية. وتعرض الزعـيم الطريس للعـديد من المضايقـات. حـيث أنه على الرغم من تراجع السلطات الاسبـانية عن موقـفها بالسـماح بإعادة تـأسيس حزب الإصلاح مـن جديد في يناير 1946 فإن الطيب بنونة هو الذي تولى أمـانة الحزب في هذه المرحلة. لكن سرعان ما سـتعرف الخمـسينات عودة الزعـيم الطريس إلى تطوان ومتـابعة سيـاسة مهـادنة السلطات الاسبـانية من جديد حيث صرح في 10 فبراير 1952 بأنه مقتنع بتعاطف اسبانيا مع القضية المغربية»[67].

وعلى العمـوم فإن علاقات حـزب الإصلاح بالسلطات الاسبـانية في مرحلة الخمـسينات حكمتها استراتيجية سياسية اسبـانية تحاول التحكـم في سير الأمور لصالحها آخذة بعين الاعتبار المواقف الفرنسيـة من القضية المغربية ومـحاولة الخروج من المسألة ببعض الامتـيازات وقد لعب الطريس بالخـصوص باعـتباره زعـيم الحزب دورا أسـاسيا في هذه السيـاسة إمـا بتوجـيهـها أو بانتقـادها أو بالسيـر معهـا في نفس الاتجاه، فـعندما بدأ تاريخ هذه الفـترة يتضح شـيئـا فشيـئا أدركنا بأن حزب الإصلاح كـان له تأثير معين على موقف اسـبانيا من الأزمة المغـربية على حد قول الباحـث الاستاذ عبد المجيد بن جلون[68].

ويمكن تلخيص أهم المواقف الاسبانية التي أثر فيها حزب الإصلاح كالتالي :

1 ـ عدم اعتراف اسبانيا بالسلطان ابن عرفة[69].

2 ـ إعـاقـة مـشـروع الجنرال فـرانكو القـاضي بإعـلان الخليـفـة السلطاني سلطـانـا علـى المنطـقـة الشمالية[70].

3 ـ تليين الموقف الاسبـاني تجاه المقـاومة المسلحة المنطلقـة من المنطقة الخليـفية والحـصول على صمت الاسبانيين لإمكانية جعل المنطقة الشمالية قاعدة تحرير[71].

وعلى الرغم من ذلك يجب الاعتراف بأن جهود حزب الإصلاح في هذا الصدد لم تكن لوحدها كافية لتحقيق ما سبق بل نجدها تتزامن مع جهود أخرى من زعماء الحركة الوطنية بالجنوب والمساندة الخارجية للمغرب والسياسة الاسبانية في عموميتها التي تحاول اتخاذ قرارات قد تحصل من خلالها على بعض الامتيازات بالمنطقة، حيث تداخلت كل تلك العوامل وغيرها لخلق مسار القضية المغربية في الخمسينات.

* ـ *مع السلطات الفرنسية:*

إذا كان موقف حزب الإصلاح الوطني من الاستعمار الاسباني يشوب تحليله بعض الصعوبة نظرا لطبيعة ودقة العلاقة التي ربطت بين الجانبين فإن موقف نفس الحزب من سلطات الاستعمار الفرنسي يبدو واضحا كل الوضوح ولا يحتاج إلى عناء كبير لوصفه فهو موقف المعارض للوجود الفرنسي في المغرب بدون تحفظ وقد أطر هذا الموقف العناصر التالية :

1 ـ التأكيد على وحدة المغرب الكاملة من الشمال إلى الجنوب تحت قيادة السلطان

2 ـ التأكيد على ضرورة استقلال البلاد الموحدة من الشمال إلى الجنوب

3 ـ مساندة الحركة الوطنية في الجنوب ماديا ومعنويا وبكل الوسائل الممكنة

4 ـ مواجهة علنية وبكل الوسائل بين حزب الإصلاح خصوصا والحركة الوطنية في الشمال عموما ضد السلطات الفرنسية.

5 ـ المساندة الغير مباشرة للسلطات الاسبانية للحزب في هذا الاتجاه

6 ـ سياسة التنسيق مع الأحزاب في المنطقة السلطانية خصوصا حزب الاستقلال

7 ـ محاولات الدعم والمساندة لحركة المقاومة وجيش التحرير في الخمسينات ويمكن أن نبرهن على كل ذلك من خلال مثالين اثنين :

أ ـ أحداث مكناس لسنة 1937 ـ ب ـ المقاومة وجيش التحرير.

ـ *أحداث مكناس لسنة 1937.*

تعتبر أحداث مكناس لسنة 1937 أول مناسبة مهمة بالنسبة لحزب الإصلاح مباشرة بعد تأسيسه حاول استغلالها لإبراز وتأكيد وجوده الشعبي والتعريف بإديولوجيته حول الوحدة المغربية وإبراز عدائه للوجود الفرنسي بالمنطقة السلطانية، فقد اتخذ الحزب مباشرة بعد الاحداث عدة إجراءات تتلخص في :

ـ إقامة صلاة الغائب على الشهداء في تطوان وكل فروع المنطقة

ـ التجمهر وقراءة الاحتجاجات المرفوعة إلى السلطان والمقيم العام الفرنسي

ـ تبليغ الاحتجاج عبر الصحافة إلى العالم الحر

ـ إرسال الجرائد الممنوعة من دخول المنطقة السلطانية عن طريق البريد الانجليزي لإطلاع الناس على تفاصيل الأحداث.

- اسـتغـلال التـجمع الديني بمولاي عـبـد السلام بن مـشـيش للتنديد بالحـدث بحـضـور 1500 شخص.

لقد كان لهذا الموقف الصلب من السلطات الفرنسية ردود فعل متعددة تتجلى في تدخل فرنسـا لدى اسبـانيا للضغـط على الطريس لإيقاف حـملته ضد فـرنسا، ووصل الأمـر إلى حد الحكم غيابيا على الطريس بالإعدام مرتين متـتاليتين، بعد اتهامه بأنه وراء أحداث مكناس(72)، وقـد رد الطريس على هذا الاتـهام بـقولـه : «ونحن لا يسـعنا أمـام هذا الاتهـام إلا أن نهـزأ به ونقول للاستـعمار الفرنسي أننا نجـاهد في وطنيتنا كما يجـاهد إخواننا في الجنوب ونداقع عن حقوقنا بكل الوسائل ومهمتنا جميعا هي إنقاذ المغرب من جراثيم الاستعمار الفاتكة...»(73).

والجـدير بالذكـر أن الـطريس تابع الأحـداث وذيولهـا إلى منتـصف سنة 1938 منـددا ومسـتغـلا الحدث للبـرهنة على وحدة الحـركة الوطنية شـمالا وجنوبا ضـد المستـعمر الـفرنسي وللتعبير عن تضامن الشمال مع الجنوب والتنديد بالاستعمار الفرنسي(74).

** - المقاومة وجيش التحرير.*

على الرغم من أن تسهيل عمل المقاومة المسلحة في الخـمسينات في المنطقة الشمالية قرار سياسي اسـباني إلا أن هذا لا ينفي العون والمساعـدة التي قدمها حزب الإصـلاح للفدائيين من المنطقة الجنوبيـة فهذا عبـد الكبير الفاسي يقـول بأن الطريس قال له عندما استـقبلـه بـداره في 19 غشت 1953 : «آه عبد الكبير، إني أصرح منذ الآن بأنني عـضو نشيط في حـركة المقاومة، اعتبرني أخوك.. اسكن في منزلي... إني أضع تحت تصرف المقاومة كل ما أملك...»(75).

ومن مظاهر هذه المسـاندة تنظيم الحزب لحـملة جمع التـبرعـات لفائدة المقاومـين رغم ما يكتنف مصير الاموال المجموعة من غموض(76) وتخصيص أماكن بضواحي تطوان للتدريبات العسكرية مثل جنان الرهوني وجنان بريشة(77).

إبان ثورة الملك والشـعب بعد سنة 1953 اتخذت هذه المسـاندة طابعا رسـميا من طرف الحزب فقد بحـثت مسألة مساندة حركة المقـاومة من طرف المؤتمر الوطني للحزب لـ 10 شتنبر 55 على ضـوء تطورات السيـاسة الفـرنسـية إزاء المغـرب وأعطيت الصلاحـيـة للجنة التنفيـذية للحـزب لاتخـاذ القـرارات المناسبـة في الموضـوع حيـث تبنت قـرارات دعم المقـاومـة عـمليـا وإمدادها بالمال والسـلاح والدخيرة وتكليف الطريس بطرق التنفـيذ واختيـار من يعينه في ذلك من أعضاء الحزب(78) وقد كان مؤتمر الحـزب لـشتنبر 1955 مناسبة لإصدار بيـان ضد السياسة الفـرنسيـة إزاء القضـية المغـربيـة موجـه إلى الأمم المتحـدة يطالب العـالم الحر بمسـاندة القضـيـة المغربيـة ضد فرنسا(79).

أما بالنسبة لجيش التحرير فتستوقفنا الملاحظة التي أثارها عبد الله الصنهاجي في مذكراته والتي ترى بأن كل الأطراف حاولت السيطرة على جيـش التحرير المغربي(80) وعلى الرغم من

صعوبة البث في محاولة الطريس أو حزب الإصلاح القيام بنفس الأمر فإن ما هو مؤكد هو أن حزب الإصلاح ساند بدوره عمل جيش التحرير وإن على المستويات التالية :

1 ـ على المستوى الإعلامي حيث أصبحت جريدة الأمة مدافعا قويا عنه في نهاية الخمسينات. في نفس الوقت الذي كان يحاول فيه جمع كل المعلومات عن الجيش بصورة سرية وعلنية(81).

2 ـ المساندة الغير مباشرة بمنع مخططات الاسبان لفصل المنطقة الشمالية عن الجنوبية ومحاولة تتويج الخليفة السلطاني مما كان سيفتح جبهة جديدة لجيش التحرير بالشمال ضد الاسبان(82).

إن ما يمكن استنتاجه من خلال هذين النموذجين حول سياسة حزب الاصلاح ضد السلطات الفرنسية هو أن هذا الحزب وجد في موقف التصدي لسياسة فرنسا في المنطقة السلطانية بديلا يبرز به وطنيته ومبادءه حول الاستقلال والوحدة والإخلاص للسلطان، ومبررا لمواقفه اللينة والمتساهلة مع الاستعمار الاسباني في المنطقة الخليفية الذي تبنى إزاءه سياسة النضال السلمي ومحاولة تحقيق بعض الامتيازات والإصلاحات في المنطقة الخليفية مستغلا من خلال كل ذلك التنافس الاسباني الفرنسي حول المغرب ومحاولا تنميته لصالح القضية المغربية.

بقي أن أشير في نهاية هذه النقطة إلى أن العداء الشديد لفرنسا ومؤازرة اسبانيا دفع بحزب الإصلاح إلى الكشف عن انحيازه لألمانيا أثناء الحرب الثانية، فقد أقيم احتفال كبير بتطوان سنة 1940 على إثر انتصارات هتلر الأولى في الحرب ونظمت مظاهرة قادها الطريس وبنونة والوزاني وشخصيات من حزب الكتائب الاسباني أمام القنصلية الألمانية حيث تم حرق علم فرنسا وتم السماح لمجندين مغاربة بالالتحاق باللواء الأزرق إلى جانب هتلر(83).

وقد ذهب الطريس بعيدا في الأمر حيث زار ألمانية سنة 1941 على رأس بعثة حزبية إلى برلين لإقناع الألمان بضرورة تحرير المغرب بعد هزيمة فرنسا مما جعل الفرنسيين يضمرون العداء للطريس ويحكمون عليه بالإعدام غيابيا في المحكمة العسكرية بمكناس(84). إلا أن هذا المسعى لم ينجح لأن ألمانيا لم تكن على استعداد للاعتراف باستقلال المغرب وخسران صداقتها مع اسبانيا علاوة على أنها متفقة مع إيطاليا بترك شؤون الشمال الافريقي لها إذا ما انتصرت دول المحور في الحرب(85).

ب ـ العلاقة مع السلطات المخزنية الرمزية.

لقد فطن حزب الإصلاح عند تأسيسه للوضع الرمزي الذي كان للمخزن بصورة عامة سواء في المنطقة السلطانية أو الخليفية وعبر الطريس عن ذلك بقوله :

«إننا نجد الصدارة العظمى في المنطقة الخليفية والسلطانية على حد سواء لا تملك حق

التصرف البسيط في أي ظهير أو قرار حتى أصبحت الصدارتان عبارة عن دكاكين للنسخ لا أقل ولا أكثر»[86]. ومع ذلك فقد كان الحزب يرى في هذا الجهاز رمزا لاستمرارية الدولة واستمرار وجود كيانها السياسي سواء في الشمال أو الجنوب وقد عبر الطريس عن ذلك سنة 1954 في خطاب ألقي في ذكرى الاحتفاء بتولية الخليفة م. الحسن بن المهدي بقوله : «نيابة سمو الخليفة عن جلالة الملك الشرعي مولانا محمد الخامس، هي نيابة يرتضيها الشعب وتقرها الشرائع والدساتير...»[87].

وقد كانت روابط العمل والمشاورة بين الطرفين لا تتوقف حيث يتم التنسيق في سرية مطلقة تحت ستار الزيارات البروتوكولية المعتادة أو الصلات الاجتماعية التي لا تثير شكوك دوائر المخابرات الاسبانية[88].

أما بخصوص السلطان سيدي محمد بن يوسف فقد كان موقف الحزب واضحا منه من خلال تصريحات زعيمه الطريس على امتداد مراحل الكفاح الوطني فقد صرح الطريس مثلا سنة 1942 «ليعلم الجميع أن الوطنية نصيرة العرش ومؤيدة للعرش والداعية إلى احترام العرش»[89].

وفي سنة 1954 قال : «ملكنا الشرعي الأوحد هو محمد الخامس قصر الله مدة غربته»[90].

لقد كان حزب الإصلاح حريصا على ربط الصلة بصورة مباشرة مع السلطان محمد بن يوسف عن طريق مبعوثين سريين كان الحزب يوفدهم إلى القصر الملكي بالرباط في الأربعينات من بينهم محمد الخطيب لإطلاع السلطان على عمل الحركة الوطنية في الشمال والتزود بتعليمات السلطان ونقلها إلى قادة الحزب والخليفة السلطاني[91].

وقد عبر الطريس عن أهمية وأحقية مساندته للسلطان حينما غادر القصر الملكي يوم 29 مارس 1956 إثر مقابلته للملك محمد الخامس بقوله : «عندما استقبلت من طرف جلالة الملك أحسست للمرة الثانية في حياتي أنني على حق في جميع ما اعتقدته فيه وأنني كنت على حق في جميع ما عملته من أجل عودة جلالة الملك من منفاه لأنني كنت واثقا دائما وأبدا أنه الذي وهبه الله للأمة المغربية ليقودها إلى عظمتها وسعادتها ووحدتها وحريتها واستقلالها...»[92].

جـ- العلاقة مع أحزاب الحركة الوطنية.

من المعروف أن حزب الإصلاح يعتبر أول حزب مغربي تأسس في فترة كانت الحركة الوطنية في الشمال أو في الجنوب لازالت لم تبلور بعد تنظيمات حزبية بالمعنى الدقيق للكلمة إلا أن مرحلة ما بعد تأسيسه ما لبثت أن أفرزت مجموعة من الأحزاب شمالا وجنوبا أبرزها الحزب الوطني والحركة القومية وحزب الوحدة بالإضافة طبعا لحزب الإصلاح وقد كان

التنسيق والتفاهم واضحا بين حزب الإصلاح والحزب الوطني من جهة وبين حزب الوحدة والحركة القومية[93]، رغم تجمع كل من أحزاب الشمال : الإصلاح والوحدة فيما عرف بالكتلة الوطنية في الشمال وأحزاب الجنوب فيما عرف بكتلة العمل الوطني في الجنوب. وهذا يعني أن الاتصال والتنسيق بين الكتلتين كان مستمرا وغير منقطع رغم الظروف الصعبة التي كان يتم فيها بالإضافة إلى أخذهم من نفس المنابع الاديولوجية من حركة سلفية وقومية عربية وصلات وثيقة بالشرق إضافة إلى ما تميز به بعضهم من تكوين عصري في أوربا[94].

ما هي إذن علاقة حزب الإصلاح بهذه الأحزاب سواء في الشمال أو الجنوب وما هي مميزات هذه العلاقة؟

* *مع أحزاب المنطقة الخليفية:*

يعتبر حزب الوحدة الذي أسسه محمد المكي الناصري سنة 1937 بتأثير من المقيم العام الاسباني بيكبيدير ليكون منافسا لحزب الإصلاح في المنطقة الخليفية ولخلق نوع من التوازن في علاقة اسبانيا بالحركة الوطنية في الشمال الحزب الأساسي بعد حزب الإصلاح في المنطقة الخليفية، رغم وجود عدد من الأحزاب الأقل أهمية والتي تأسست في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات لمضايقة الأحزاب الوطنية الأخرى لأن دورها كان مقتصرا على مناصرة اسبانيا في مرحلة أزماتها مع حزب الاصلاح[95].

لقد عارض المكي الناصري حزب الإصلاح لأول وهلة رغم أنه كان عضوا في لجنته التحضيرية ولو بصورة استشارية ولعل الخلافات الشخصية بين الطريس والناصري كانت وراء هذا التصادم، وقد اتفق الطرفان أن يعمل كل منهما في دائرة خاصة دون أن يهاجم الآخر وأن يتضامنا في كل مصلحة وطنية عليا[96] وفعلا فقد كون الحزبان الجبهة القومية في دسمبر 1942 التي تقدمت بوثيقة المطالبة بالاستقلال والوحدة في فبراير 1943 قبل وثيقة 11 يناير 1944، فهي أول وثيقة مغربية طالبت باستقلال المغرب إبان النزول الأمريكي على الشواطئ المغربية[97].

كما ساهما في الجبهة الوطنية المغربية مع أحزاب الجنوب سنة 1951 في مواجهة الحزب الشيوعي، إلا أن الاختلافات بينهما بخصوص الموقف من اسبانيا أفشل هذه الجبهة التي كانت عبارة عن هيأة تنسيق فقط[98] وقد أثر موقف كل من الناصري والطريس من القوى العظمى أثناء الحرب العالمية على محاولات التقريب بين الحزبين خصوصا حينما أعلن الناصري وقوفه إلي جانب انجلترا مقابل تودد الطريس إلى الألمان. وكخلاصة لعلاقة الحزبين يمكن التأكيد أنهما صورة لعلاقة حزب الاستقلال بحزب الشورى والاستقلال في المنطقة السلطانية.

* *مع أحزاب المنطقة السلطانية:*

أهم علاقة لحزب الإصلاح في المنطقة السلطانية كانت مع حزب الاستقلال بعد تأسيسه سنة 1944 وهي امتداد طبيعي لعلاقة الحزب الشمالي بالحزب الوطني في الجنوب ولعل الموقف الموحد لكلا الحزبين من الاستعمار الفرنسي والدعم الذي قام به حزب الإصلاح للحركة الوطنية الجنوبية مما أعطينا عنه أمثلة سابقة كان من وراء التعاون الذي حصل بين الحزبين فقد جاء على لسان الطريس في خطابه يوم 31 غشت 1946 : «... نحن نؤيد حزب الاستقلال كل التأييد في خطته الموفقة إزاء برامج الإصلاح. إننا نكرر اليوم ما أعلناه من قبل من أن تضامن حزب الإصلاح الوطني مع حزب الاستقلال تضامن تام وأننا نعمل على ضوء نفس المبادئ المشتركة التي يعمل عليها الاستقلاليون في المنطقة السلطانية...»[99].

ويمكن إجمال أهم مظاهر هذا التوافق بين الحزبين فيما يلي :

- تأييد حزب الإصلاح لعريضة الاستقلال لسنة 1944 بعرائض تأييد وتأكيد

- توجيه وفد من ح. الإصلاح إلى ح. الاستقلال في شتنبر 1946 لعقد اجتماع مع المجلس الأعلى للحزب تقرر فيه تنسيق الجهود بين الطرفين لضمان الاستقلال والوحدة[100].

- حضور وفد من حزب الإصلاح أعمال مؤتمر حزب الاستقلال في دسمبر 1955 برئاسة محمد بن محمد الخطيب عضو اللجنة التنفيذية لحزب الإصلاح.

وقد أقنع هذا التعاون بين الحزبين السلطات الاستعمارية الفرنسية وحتى الاسبانية أنهما تواجهان حركة وطنية موحدة من الشمال إلى الجنوب حول شعار الوحدة والاستقلال.

في ختام هذه النقطة لابد من الإشارة إلى أن حزب الإصلاح لم تكن له علاقات داخلية فقط مع السلطات الاستعمارية ومع الحركة الوطنية ورموز الكيان المغربي بل إنه استغل مرامي السياسة الاسبانية في التقرب من الشرق العربي والإسلامي ليوطد دعائم علاقاته المشرقية بالحضور في جميع المؤتمرات العربية والاسلامية وبالعضوية الرسمية في اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية والمشاركة في مكتب المغرب العربي وفي لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة وبإنشاء مكتب للمغرب في نيويورك والدفاع عن القضية الفلسطينية[101] مما لا يسمح المقام بالتفصيل فيه في هذا المقال.

خاتمة : حزب الإصلاح بين الإدماج والإندماج.

آخر خطوة في مسار هذا الحزب كانت القرار المفاجئ الذي اتخذه الطريس في يوم 5 شعبان 1375، موافق 18 مارس 1956 بإدماج حزب الإصلاح في حزب الاستقلال، فكان البلاغ المشترك بين الحزبين الذي وقعه كل من الطريس وأحمد بلافريج والذي نص على :

«... اتفق الكل على ضرورة توحيد جهود جميع المواطنين لجعل الاستقلال المعترف به

حقيقة واقعية وتوطيد دعائم الوحدة الترابية للبلاد في ظل صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس نصره الله وبناء على ما بين الحزبين من تاريخ مشترك في الكفاح الوطني قررا أن يندمجا في بعضهما ويصبحا حزبا واحدا يحمل اسم الاستقلال»[102].

لقد سبق هذا البلاغ إعلان عن النبأ في جريدة الأمة ليوم 17 مارس 1956 كما سبقته إرهاصات وتلميحات بنفس الجريدة يوم 28 نوفمبر 1955 من طرف الطريس حيث صرح قائلا : «إذا كانت هناك حدود مفتعلة تفرق بيننا فليس هناك في العالم قوة تستطيع أن تفرق بين قلبين متحابين وضميرين متحدين وعقليتين متكاملتين هما حزب الاستقلال وحزب الاصلاح الوطني...»[103]. فما هي مبررات هذه الخطوة؟

يعتبر محمد عزوز حكيم صديق الزعيم الطريس والمقرب منه في هذه المرحلة أن الخطوة الجريئة للزعيم الطريس جاءت دفاعا على مبدأ الوحدة الذي اتخذه حزب الإصلاح أحد أركان إديولوجيته خصوصا بعد اتخاذ اسبانيا موقفا معاديا للتصريح الفرنسي المغربي القاضي باستقلال المغرب في 2 مارس 1956 حيث ظهر في الأفق أن تحقيق الوحدة قد يكون أكثر صعوبة من تحقيق الاستقلال وهكذا اتخذ الطريس قراره لإرغام اسبانيا على التفاوض مع الملك محمد الخامس لإلغاء معاهدة 27 نوفمبر 1912. هذا بالإضافة إلى اعتبارات أخرى تخص حزب الإصلاح لخصها في :

- كون حزب الإصلاح منذ تأسيسه اعتبر نفسه حزبا للوطنية المغربية برمتها يطالب باستقلال البلاد كلها
- تطابق الغايات والأهداف بين حزب الإصلاح وحزب الاستقلال
- العمل المشترك للحزبين وتطابقه منذ 1944[104].

لكن رغم كل ما سبق فقد وجهت بعض الانتقادات لهذه الخطوة من طرف مناضلي الحزب يمكن استخلاصها من مذكرة المهدي بنونة بصورة واضحة وهي تتلخص في :

- إقدام الطريس على هذه الخطوة دون عقد اجتماع للجنة التنفيذية للحزب أو استشارتها
- مفاجأة الجميع بالقرار انطلاقا من طنجة الدولية رغم أنهم لن يعارضوه
- اعتبار القرار من اختصاص اللجنة المركزية للحزب التي تضم رؤساء الفروع[105].

وعلى الرغم من المبررات التي ساقها بنونة إلى جانب انتقاده هذا والتي تتلخص في :

- ضغط الظروف التي كانت تهدد بتفتيت وحدة البلاد
- كون الطريس كان مقيما في طنجة بعد أن فطن لمؤامرة دبرها الاسبان لاغتياله في تطوان وهي ظروف شخصية لا تسمح باللقاء ببقية أعضاء الحزب حيث اكتفى فقط باستشارة عضوين من اللجنة التنفيذية هما الطيب بنونة ومحمد محمد الخطيب اللذان كانا بطنجة[106].

على الرغم من ذلك فإن القرار جاء حلا للحزب وانهاء لمسيرة فصيل من الحركة الوطنية وأحد أنويتها الأساسية، له ما له وعليه ما عليه، وهو الشيء الذي دفع بمحمد عزوز حكيم إلى محاولة إحياء الحزب في المنطقة الشمالية في المرحلة الحالية (التسعينات) إلا أن مبادرته باءت بالفشل حيث لم يرخص له بذلك.

يبقى في الأخير أن نتساءل هل فعلا أكمل حزب الإصلاح مهمته وكان عليه أن ينمحي من الساحة الوطنية؟ هل كان مؤهلا أن يستمر خصوصا ونحن نعيش اليوم أجواء الجهوية ولماذا لم يسمح لتجربة الاحياء بالوجود.

هوامش :

(1) يعد المهتمون بالدراسات الاكاديمية قلة نذكر منهم : عبد المجيد بن جلون وحسن الصفار بالإضافة إلى محمد بن عزوز حكيم.

(2) نذكر بالخصوص مذكرات المهدي بنونة، المغرب... السنوات الحرجة ، كتاب الشرق الأوسط، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق وآخرون، ط. 1 1989، ذات الأهمية في الموضوع.

(3) نفسه، 395.

(4) يتعلق الأمر بالاستاذ محمد عزوز حكيم الذي أسهم مشكورا في إخراج بعض الوثائق وألف حولها كتبا متعددة ونتمنى أن يتيح الفرصة بصورة أفضل للباحثين في هذا المجال.

(5) م. عزوز حكيم، وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب، ج. 1، ط. 2، تطوان 1981، ص. 327.

(6) يفصل م. عزوز حكيم في تقسيماته لتاريخ الحركة إلى 7 أقسام آثرت دمجها في قسمين أساسيين واضحي المعالم. (انظر جدول تاريخ الحركة الوطنية بشمال المغرب).

(7) الحاج عبد السلام بنونة لقب بأب الحركة الوطنية المغربية لانفراده في هذه المرحلة بالعمل الوطني إلى جانب ثلة من تلاميذه وأصدقائه...

(8) إنشاء المجمع العلمي المغربي سنة 1916، ومدرسة لوقش للتعليم العالي الديني 1917، ومدرسة الصناعة التقليدية، 1919، ومدرسة الدروس الليلية، 1925، والمدرسة الأهلية، 1924 ، وبداية البعثات الطلابية إلى الشرق منذ 1928، ، وطبع الكتب المدرسية بطريقة عصرية منذ 1928.

(9) على سبيل المثال : الشركة التعاونية الصناعية - المطبعة المهدية، 1928 - معمل الثياب الوطنية، 1931.

(10) انظر م. بن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص.ص 13 - 17. ويمكن التأكيد على :
- جلب الصحف العربية من الشرق عن طريق البريد الانجليزي - تأسيس مجلة الإصلاح (لسان المجمع العلمي 1917) - محاولة إصدار عدد من الجرائد لم تر النور بسبب التضييق الاسباني والقيام باتصالات مع أوربا والشرق وحضور مؤتمرات ولقاءات دولية مناهضة للاستعمار أو ذات صبغة علمية.

(11) م. عزوز حكيم، مرجع سابق، صص. 13 - 41.

(12) ادريس أبو رندة وعبد العزيز السعود، حزب الإصلاح الوطني، وقائع مهملة، الثقافة الجديدة عدد 18، السنة الخامسة 1980، ص. ص. 48 - 63.

(13) يمكن الرجوع إلى المقال الآنف الذكر للتعرف بصورة ملخصة على مجريات التطورات السياسية في اسبانيا في المرحلة ما بين 1930 و1936 خصوصا صفحتي 49 - 50.

(14) المهدي بنونة، مصدر سابق الذكر، ص.ص. 78 - 79.

(15) بنعزوز حكيم، حزب الاصلاح، معلمة المغرب، ج. 2، الجمعيـة المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا، 1989، ص.ص. 474 ـ 476 ، كذلك : الطيب بنونة ، نضالنا القومي، ص. 317.
(16) نفسه.
(17) نفسه.
(18) هؤلاء الأعضاء هم محمد الصفار رئيسا ـ أحـمد غيلان نائبه ـ عبد الخالق الطريس كاتب اللجنة وعدد من الأعضاء هم : عبد السلام بنونة ـ محـمد طنانة ـ محمـد داوود ـ التهامي الوزاني ـ محـمد الطنجي ـ الحاج محمد بنونة ـ محمد أفيلال ـ المكي الناصري الذي تم قبوله بعد ذلك في الجلسة الثالثة للهيئة كعضو استشاري فقط، باعتبار انتمائه للمنطقة السلطانيـة، وبعد الهيئة الثالثة كذلك أصبح محمد الطنجي نائب للكاتب، انظر بن عزوز حكيم...، وثائق... ص. 84.
(19) بن عزوز حكيم، نفس المصدر السالف الذكر أعلاه، ص.ص. 78 إلى 116.
(20) انظر ملخصا وافيا لهذه الغايات في المصدر المذكور أعلاه، ص.ص 81 ـ 83.
(21) سيأتي الحديث عن ذلك في سياق تحليل الممارسة السياسية للحزب فيما يلي من هذا البحث.
(22) بن عزوز حكيم، حزب الاصلاح... المعلمة، ج. 2، ص. 474 إلى 476.
(23) نفسه.
(24) ر. ريزت : الأحزاب السـياسية في المغـرب، منشورات المجلة المغربيـة لعلم الاجتماع السـياسي، ط. 1 ـ 1992، تعريب محمد ظريف وآخرون، ص. 326.
(25) (26) نفسه، ص. 326.
(27) (28) نفسه، ص. 326.
(29) نفسه، ص. 327.
(30) نفس المصدر، نفس الصفحة.
(31) بن عزوز حكيم، المعلمة، ص. 475.
(32) المهدي بنونة، المغرب... ص. 79.
(33) نفسه، ص. 79.
(34) نفسه، ص. 79.
(35) ع. السعود، قراءة تاريخية مجددة في الخطاب الاصلاحي الوطني بالشمال، دفاتر الشمال، ع. 2/ربيع 1997، ص.ص 133 ـ 147.
(36) بنعزوز حكيم، وثائق تشهد، مطبعة الساحل، الرباط، 1980، ص. 62.
(37) هنري يكن، عـصر الاديولوجـيا، ترجـمة مـحمـد محي الدين صـبحي، دار الطليـعة، بيروت، ط. 2، 1982، ص. 10.
(38) عـبد الله العروي، الاديولوجـيا العربيـة المعاصرة، دار الحـقيقـة، بيروت، ط. 2 1977، ص. 24. وقد أعطى في مدخل هذا الكتـاب 3 استـخدامـات لفكرة اديولوجيـا هي : «انعكاس منفـصل عن الحقـيقـة الواقعة ـ نظام فكري يحجب الواقع ـ بناء نظري مأخوذ من مجتمع آخر».
(39) بنعزوز حكيم، وثائق الحركة الوطنية، ص. 103.
(40) م. بنونة، المغرب... ص. 61 (مأخوذ عن الحياة، عدد 1، مارس 1934).
(41) الكلام للطريس سنة 1934.
(42) م. بنونة، المغرب... ص. 392.
(43) جريدة الحرية، 3 ـ 1 ـ 1940 (وقائع... ص. 143).
(44) المقصود مقال ك ادريس أبو رندة وع. السعود، حزب الاصلاح الوطني، وقائع مهملة، م.س.
(45) يقول عنه المهدي بنونة في كتابه المغرب... ص. 393 ما يلي :

«الطريس سليل أسرة وطنيـة عريقة. جـده كان وزيرا للخارجيـة في عهد الملك المجـاهد الحسن الأول. ولد في تطوان عام 1911، ودرس في كـتاب القرآن، ثم حلقـات العلم في المساجد، قـبل انتقاله إلى جـامـعة القـرويين في فـاس، حيث تزامـل هناك مع علال الفـاسي، لينتـقل بعـد ذلك إلى جـامـعة فـؤاد الأول في القاهرة (جامعة القاهرة حاليا) قبل التـحاقه بجامعة السربون في باريس. وبعد عودته إلى تطوان انضـم إلى صفوف الكتلة الوطنيـة برئاسة الحاج عبد السلام بنونة، وتولى زعـامة الكتلة ورئاستها بعد وفـاة الحاج عبد السلام بنونة في 1935، وفي عام 1936 أسس حـزب الإصلاح الوطني واستمر في زعـامته إلى أن دمج الحزب في حزب الاستقلال عام 1956».

(46) جريدة الحرية، عدد 23 غشت 1937.

(47) م. بنونة... المغرب، م.س. ص. 61.

(78) م. بنعزوز حكيم، المعلمة، نفس المقال الآنف الذكر.

(49) العلم، عدد 17212، الجمعة 13 يونيو 1997 (تقديم لخطاب ع. الخالق الطريس سنة 1952).

(50) أحمد بوجداد، حـول موقف النخبة السياسيـة بالشمال من أحداث مكناس 1937، ندوة واد بوفكران البيئة والتاريخ وآفاق التنمية، منشورات عمادة جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، ص.ص. 93 ـ 102.

(51) م.ع. حكيم، أحداث بوفكران من خلال يوميات ع.خ الطريس، نفس الندوة، ص.ص 103 ـ 151.

(52) بوجداد، نفس المقال، ص. 95، تضاف إلى هذه الجرائد جريدة الحياة التي كانت تصدر قبل ذلك سنة مارس 1934 وكتب فيها الطريس كثيرا من آرائه ومواقفه السياسية.

(53) من المعلوم بأن البريد في المغرب في هذه المرحلة كان تابعا للدول الأجنبية ذات المصالح في البلاد فكل واحدة لها ـ يدهـا الخاص بها مما مكن الحركة الوطنيـة من استغلال ذلك في التـواصل بنوع من الحرية في اختيـار البريد الذي يلائم طبـيعة مـراسلاتها، ولا يعرضـه للمراقبـة من طرف المستعـمرين وقد كـان البريد الانجليزي أكثر تأهلا للقيام بهذه المهمة.

(54) م. بنونة، المغرب... ، مرجع سابق، ص. 69.

(55) الرندة/السعود، مقال سابق الذكر.

(56) التهامي الوزاني، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في الشمال، تحقيق م. عزوز حكيم، الرباط، 1980، ص. 141.

(57) نفسه، ص. 142.

(58) بنونة، مصدر سابق، ص. 67.

(59) الرندة/السعود، مصدر سابق، ص. 51.

(60) نفسه، نفس الصفحة.

(61) الحرية، 10 ـ 3 ـ 1938.

(62) نفسها بتاريخ 10 ـ 9 ـ 1939.

(63) الرندة والسعود، مقال سابق، ص. 56.

(64) الحرية، 20 ـ 9 ـ 1937.

(65) يمكن الرجـوع إلى المقـارنة الطريفة التـي أوردها السعـود والرندة في مـقالهـمـا الآنف الذكر بين حـزب الإصلاح وحـزب فلانجي الكتائب الاسـباني من جوانب مـختلفة لتـبرير تشابهـهما إديولوجـيا وسياسـيا ـ وإبراز تعاونهما في نفس الوقت.

(66) بنونة، المغرب... ص. 69.

(67) م. ظريف، الأحزاب السياسية، ص.ص 78 ـ 79.

(68) ع. بن جلون، الحركة الوطنية بالمغرب الخليفي والمقاومة، أبحاث، عدد 34 ـ 35 ، ص. 78.

(69) (70) (71) نفسه، ص.ص، 79 ـ 83.

(72) بن عزوز حكيم، احداث بوفكران، مقال سابق الذكر، ص. 106، والمعلومات السالفة الذكر مذكورة في يوميات الطريس لأيام 4 إلى 30 شتنبر 1937.

(73) نفسه، ص. 107.

(74) نفسه، ص. 146.
(75) ع. بن جلون، الحركة الوطنية، ص. 84.
(76) عبد الله الصنهاجي، مذكرات... كذلك مقال ابن جلون، الحركة الوطنية (م.س)
(77) ع. بن جلون، م.س، ص. 85.
(78) المهدي بنونة، المغرب... ص. 341.
(79) نفسه، ص. 352.
(80) ع. بن جلون، مقال سابق، ص. 86.
(81) نفسه، ص. 85، وكذلك بنونة، المغرب، ص.ص. 356، 364، 369.
(82) هناك شكاوي من بعض أقطاب الجيش إلى الطريس حول هذا التصرف، انظر بنونة، م.س. ص. 356.
(83) نفسه، ص. 89.
(84) السعود، الرندة، م.س. ص. 59.
(85) نفسه، نفس الصفحة.
(86) نفسه، ص. 81 - 82.
(87) نفسه، ص. 396.
(88) نفسه، ص. 396 - 397.
(89) ع. حكيم، نضال الطريس في ساحة الوحدة، الرباط، 1980، ص. 103.
(90) نفسه، ص. 104.
(91) م. بنونة، م.س. ص. 382.
(92) لا مجال للتمييز الذي يذكره ضريف محمد في كتابه، الأحزاب السياسية في المغرب حول الأصول الثقافية للنخبة بين الشمال والجنوب، ص. 31.
(93) م. بنونة، م.س. ص. 80.
(94) م. حكيم، نضال الطريس، ص. 92.
(95) من هذه الأحزاب : حزب الوحدة الريفية المؤسس سنة 1946 - حزب الدفاع الوطني المؤسس سنة 1947 بزعامج خالد الريسوني - حزب المغرب الحر المؤسس سنة 1952 بزعامة محمد زريوح - حزب الهلال المؤسس سنة 1953 بزعامة خالد الريسوني، بالإضافة لحزب الأحرار وحزب الإصلاح الديني.
(96) الوزاني، مذكرة... مصدر سابق ص. 146. والجدير بالذكر أن حزب الوحدة كان ذا صبغة ثقافية أكثر منها سياسية وقد نقل نشاطه إلى طنجة في الأربعينات إلى أن منع سنة 1948.
(97) بنونة، المغرب... ص. 84.
(98) سعيد الوداني، الكتل والتحالفات الحزبية من 1933 إلى 1992، الزمن المغربي، عدد 63، بتاريخ 13 - 9 - 1996.
(99) محمد عزوز حكيم، نضال الطريس، مصدر ص. 90.
(100) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص. 318.
(101) م. عزوز حكيم، المعلمة، مصدر ص. 476.
(102) م. عزوز حكيم نضال الطريس، ص. 91.
(103) نفسه، ص. 90، وكذلك بنونة، مصدر ص. 390.
(104) م. عزوز حكيم، نضال الطريس...، ص.ص. 87 - 88.
(105) بنونة، المغرب...، ص.ص. 390 - 391.
(106) نفسه، ص. 391.